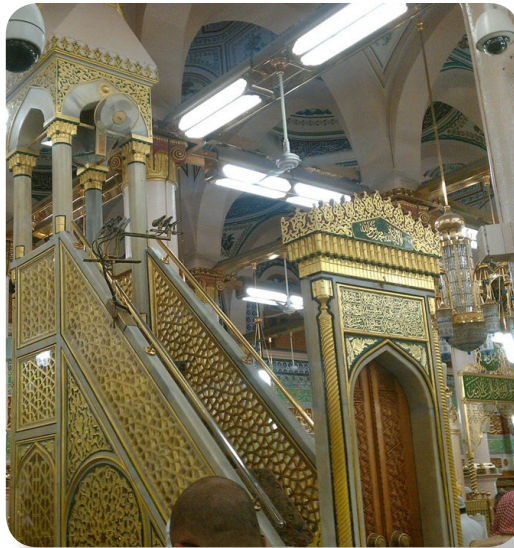


السير والمعارك

مجموعة خطب ألقيتها من على منبر الجمعة وهي مناسبة أن تُلقى
كمحاضرات أو كلمات في المساجد والمدارس والإذاعات وغيرها.



أعدها وألقاها

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ





مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿٢﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿٣﴾.

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية والتي ألقيتها خلال قيامي بالخطابة في عدد من جوامع المملكة العربية السعودية وأغلب هذه الخطب كانت في جامع البساتين بمحافظة القويعة في الفترة من عام ١٤١٤ - ١٤٢٤هـ.

ولا أزعم أن هذه الخطب المدونة كانت من اجتهادي الخاص ولكنني استفدت من عدد من الكتب ودواوين الخطب المطبوعة ويبقى أن لكل خطيب بصمته الخاصة في الإعداد وطريقته المتميزة في الإلقاء عن غيره.

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].





وكان الباعث لنشر هذه الخطب هو الحاجة الماسة لدى الكثير من الخطباء في هذا العصر وطلبهم للخطب والبحث عما كُتب من قبل ومساهمة في نشر الخير وإعانة للخطباء والوعاظ والمتكلمين وغيرهم ممن ينشر الخير والفائدة في المساجد والمدارس والإذاعات كان إخراجها ونشرها.

وهي صالحة بإذن الله للخطابة فيها وإلقاءها عن طريق الكلمات في المساجد أو المدارس أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله أن يبارك في هذه الخطب وأن يجعلها حجة لنا لا علينا وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والله وحده الموفق لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن إبراهيم الحريقي

في الخامس من رمضان لعام ١٤٤١ هـ أيام وباء كورونا (كوفيد ١٩)

في البلد الحرام مكة المكرمة - حرسها الله -

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠





سلسلة الخطب الدعوية :

م	العنوان	م	العنوان
١	الإيمان والتوحيد.	١٤	التربية.
٢	الله جل جلاله وكتابه الكريم.	١٥	الآداب.
٣	محمد صلى الله عليه وسلم وسنته.	١٦	الأخلاق الحسنة.
٤	الصلاة والزكاة.	١٧	الأخلاق السيئة.
٥	الصيام.	١٨	المحرمات.
٦	الحج والعمرة.	١٩	الأمن.
٧	العيدين والاستسقاء.	٢٠	العالم الإسلامي.
٨	أشراط الساعة.	٢١	الطوائف والفرق.
٩	الموت والدار الآخرة.	٢٢	الشباب.
١٠	الفتن والبلاء.	٢٣	المرأة.
١١	السير والمعارك.	٢٤	الزواج.
١٢	الحقوق.	٢٥	الدراسة والإجازة.
١٣	القصص.		





﴿خير القرون﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عبد الله واخشوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ (١).

وما أخرج الأمة في هذا الزمان إلى مثل ونماذج صادقة تحذو حذوها ورجالات ذات همم صادقة وعالية يُقتدى بها ويستضاء بتاريخها ويسار على طريقها.

وفي أمة الإسلام نجدهم هدى ومصاييح دجى أشرق نورها فترة من الزمن في هذا الوجود ولئن ماتوا بأجسادهم فلا زال تاريخهم ولن يزال غضاً طرياً يستنهض الهمم ويبعث على الجهاد والتضحية في سبيل الله إنهم صحابة رسول الله ﷺ خير القرون أولئك الذين اختارهم الله جَلَّ وَعَلَا وخصهم بفضل الصحبة على من سواهم قال ابن مسعود «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء



نبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء» هم القوم أعلى شأنهم القرآن وأثنى الله فيه على المهاجرين والأنصار ورضي الله عن أصحاب البيعة تحت الشجرة وتاب على الذين اتبعوه في جيش العسرة ويكفيهم فخراً أن الله تعالى قال فيهم ومن اتبعهم بإحسان ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

صحابه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمانة للأمة وبذهابهم أتى الأمة ما كانوا يوعدون قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» (٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والأمانة في الحديث جمع أمين وهو الحافظ وفي الحديث إشارة بالجملة أما مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير.

ولقد أخبر الصادق المصدوق عن فضل الصحابة وعلو منزلتهم فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، - قَالَ عُمَرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قُرْنِهِ قُرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذَرُونَ وَلَا يُفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ» (٣).

بل ونهى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عن سبهم فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي،

(١) سورة التوبة: آية ١٠٠.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٣١).

(٣) صحيح البخاري (٣٦٥٠).





فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ، ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِمْ، ولا نصيفُهُ»^(١).

وأجمع أهل السنة والجماعة على عدالتهم حتى قال الخطيب البغدادي والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم فلا يحتاج أحدٌ منهم تعديل بعد تعديل الله تعالى لهم.

يقول القاضي عياض **رَحِمَهُ اللهُ** عن ميزة الصحابة وفضيلة الصحابة ولو لحظة لا يوازيها عملٌ ولا تنال درجتها بشيء والفضائل لا تؤخذ بالقياس.

أما عما شجر بينهم فيقول الذهبي **رَحِمَهُ اللهُ**: كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بينهم وقتالهم **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** أجمعين وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب، فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفوا القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء إلى أن قال: فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك فلا نعرج عليه ولا كرامة فأكثره باطل وكذب وافتراء فدأب الروافض رواية الأباطيل أو رد ما في الصحاح والمسانيد ومتى إفاقة من به سُكران.

هذه مقتطفات عاجلة من معتقد أهل السنة والجماعة في الصحابة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ** أجمعين وتلك قناعات ومنطلقات شرعية لا تهتز بإرجاف المرجفين ولا تتأثر بتشكيك المشككين. وإذا كانت أعراض المسلمين بشكل عام مصونة في الإسلام فأعراض الصحابة وهم أهل الفضل والسابقة والجهاد أولى بالصيانة والدفاع قُرْبَةً لِلَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** وتقديراً لما أثرهم وجهادهم وقد نص العلماء قديماً على تحريم سب الصحابة وأرشدوا إلى عقوبات تعزيرية لمن فعل ذلك معهم.

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٣).





قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: واعلم أن سب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حرام من فواحش المحرمات سواءً من لابس الفتن منهم وغيره.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: يجب على السلطان تأديبه وعقوبته وليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه ونقل عن بعض المالكية أنه يقتل. فرضي الله عن الصحابة أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ورحم الله ابن القيم حيث قال في مدحهم والثناء عليهم:

أولئك أتباع النبي وحزبه	ولولا هم ما كان في الأرض مسلمٌ
ولولا هم كانت ظلاماً بأهلها	ولكن هم فيها بدورٌ وأنجمٌ
فيا لائمي في حبههم وولائهم	تأمل هداك الله من هو ألومٌ
بأي دليل أم بأية حجةٍ	ترى حبههم عارٌ عليّ وتنقمُ
وما العار إلا بغضهم واجتنابهم	وحب عداهم ذاك عارٌ ومأثمٌ





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

ولغافل أو جاهل أن يسأل لماذا هذه العناية بأعراض الصحابة؟ ولماذا الدفاع عنهم؟ والجواب لأن هناك مكن خطر في سبهم أو التعريض بهم وعدالتهم فهم نقلة الدين والطعن فيهم وسيلة للطعن في الدين، وهذا ما نبه إليه الإمام أبو زرعة **رَحِمَهُ اللهُ** حين قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة.

ولا بد من التنبيه لمثل هذه الأفكار المتسللة التي تحاول بين الفينة والأخرى الطعن في أحد من صحابة رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** سواء كانت عبارات صريحة أو ملفوفة أو استخدمت أسلوب التشكيك في وجود هذا الصحابي وأسطوريته فتلك رغم ما فيها من جرأة تحطم الحجب الواقية لهذا التاريخ المجيد الذي أجمعت عليه الأمة هو كذلك إشغال للأمة بقضايا جانبية لا يحتمله تاريخ الأمة المثقل بكثير من القضايا والهموم، وما الاجتماع الصليبي مع التطرف اليهودي ضد مقدسات المسلمين إلا واحدة من تلك القضايا المهمة في عصرنا الحاضر.

وإذا قدر لهذه القضايا أن تبحث فينبغي أن يوسد الأمر إلى أهله وأن يتوفر على ذلك علماء متمكنون في علمهم صادقون في توجههم براء من أي تهمة في





سلامة معتقدهم وأن يكون الحوار على مستوى الخاصة دون العامة وألا تكون قضية مطروحة للمزاد يهدف فيها من لا يعرف وإذا غاب صوت العلماء فإنه يتصدر السفهاء والله المستعان.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منها، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.





﴿ فضائل الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١﴾.

يقول تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠٠) ﴿٢﴾.

خير الخلق أجمعين هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخير أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين وخير أصحابه هم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وبيان فضائل الصحابة وما كانوا عليه من المحبة والتعاون على الحق ودفع الطعن عنهم من الدين ومما يؤجر عيه الإنسان، فالصحابة هم حملة الرسالة، والطعن فيهم طعن في الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وسوء ظن بالمرسل تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ويا ويل من سبهم أو انتقصهم أو أبغضهم أو

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٠.



سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وأفضلهم أعني الصديق الأكبر - والخليفة الأعظم أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وتتناول شيئاً من سيرته رضي الله عنه وأرضاه.

إذا تذكرت شعراً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرُسلا

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو السابق إلى التصديق المؤيد من الله تعالى بالتوفيق صاحب النبي في الحضر والأسفار ورفيقه في جميع الأَطوار. ولد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد حادثة الفيل بستين وستة أشهر، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبيض نحيفاً خفيف العارضين ونشأ في كنف والده أبي قحافة الذي أسلم يوم الفتح.

ونأى الشاب الطاهر عن رجس الجاهلية ودنسها وتحلى بالأخلاق العربية الأصيلة فكان ذا خلق ومعروف محبباً سهلاً صادق الحديث طيب العشرة حسن المجالسة. وكان أنسب العرب وأنسب قريش لقريش.

وحين دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام آمن لساعته ولم يطل التفكير لما كان يعلمه من صدق النبي ﷺ وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه.

ولم يكتف أبو بكر بأن دخل في الإسلام بل استخدم جاهه ومكانته في قريش لصالح دعوته فقام يدعوا إلى الإسلام فأسلم على يديه عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.





بل وضع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ماله لنصرة دين الله سبحانه فلقد كان له أربعين ألفاً أنفقها كلها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي سبيل الله، حتى قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا يَدٌ يُكَافِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنْ صَاحَبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»^(١).

وكان يمر على العبيد وهم يعذبون فيؤرقه حالهم فبذل لتحريرهم حر ماله، واشترى بلال ابن رباح مؤذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمس أواق ذهباً فقالوا له لو أبيت إلا أوقية لبعناك فقال لو أبيتهم إلا مائة أوقية لأخذته.

وفي الحديث «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَعَجَبْنَا لِبُكَائِهِ: أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخْبِرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»^(٢).

ولنستمع إلى أحد خطب أبي بكر إذ يقول ثم اعلّموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك موثيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه فاستضيئوا بنوره

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، والديلمي في (الفردوس) (٦٣٢٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٥٤).





وانتصحو كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة، فإنه إنما خلقكم لعبادته وוכל بكم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون.

ومن فضائل الصديق ما ذكره البخاري في صحيحه من حديث أبي الدرداء رقال: «كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرْفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأُسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا» (١).

وحين اقترب الموت من أبي بكر وحن الأجل المحتوم دعا ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأوصاها قائلاً يا بنية إنا أولينا أمر المسلمين فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشي وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثي بها إلى عمر.

ولما كان اليوم الذي قُبِضَ فيه أبو بكر رجت المدينة بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجاء علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً وهو



يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة. وقال رحمك الله يا أبا بكر أول القوم إسلاماً
وأكملهم إيماناً وأخوفهم لله وأشدّهم يقيناً وأعظمهم عناءً.
فهذه بعض فضائله ومواقفه فرحمك الله يا أبا بكر في الأولين ورضي عنك في
الآخرين ولتتهنيك الصحبة في الغار والذود عن المختار والاستخلاف بإجماع
المسلمين وصمودك لجيوش المرتدين وجمعك للنور المبين.
اللهم ارض عنه وعن بقية الصحابة أجمعين، اللهم احشرنا في زمرة وأمتنا
على محبته.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله معز من أطاعه واتقاه ومذل من أضاع أمره وعصاه .. أما بعد:

فاتقوا الله وانظروا إلى استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم وقوع البيعة من المؤمنين له عن طوعية واختيار لا عن إكراه ولا بذل مال وظهور مصداق حديث رسول الله ﷺ «وَيَأْتِي اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(١) ثم هو قد زهد في الخلافة وعرضها على عمر وأبي عبيده فأبيا فهذا مسالك أهل السنة والجماعة في فضله واعتباره الخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ وهو المسلك السديد والقول الرشيد ولا عبرة لقول غيرهم من الرافضة ومن ضل معهم ثم يجترؤن على سبه ولعنه.

قال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢).

فنشهد الله على محبة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وحبه والله رأس الحنفية، وبغضه يدل على خبث الطوية فهو خير الصحابة والقراة والحجة على ذلك قوية.

قال ابن الحنفية مؤكداً صحة إمامته والله ما أجبناه لهواناً ولكن أخذنا بقول علي وكفانا: (رضيك رسول الله لدينا أفلا نرضاك لدينا).

وليحذر الإنسان كل الحذر من سب الصحابة أو التنقص منهم وقد قال جابر لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله حتى أبا بكر وعمر فقالت:

(١) صحيح مسلم (٢٣٨٧).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٧٣).





(وما تعجبون من هذا، انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر).
إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون. فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه
على نعمه يزددكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون، وقوموا إلى صلاتكم.





﴿عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾

الحمد لله الملك الديان خلق الإنسان علمه البيان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) ﴿١﴾.

وإن تاريخ المسلمين مفخرة من مفاخر التاريخ العالمي وهذا التاريخ إذا أحسن عرضه ونشره فإنه غني بالدروس والعبر لكل مسلم بل ولكل منصف من غير العرب والمسلمين.

ولعلي أسلط الأضواء وأفرح بالمدح والثناء لواحد من الصحابة الأوفياء ألا وهو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد السابقين الأولين وثاني الخلفاء الراشدين.

عمر بن الخطاب العادل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن ذكر العادلون، من سهر لينام الناس وجاع ليشبع الناس، من لا تأخذه في الله لومة لائم، هو قائل الحق ولو كان مرأاً.

عمر بن الخطاب البطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي زلزل عروش الظالمين ودك قلاع الأكاسرة والقياصرة فأرغم أنوف الروم وحطم كبرياء الفرس وأخرج اليهود أذلة صاغرين.

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي لا زال اسمه حياً نابضاً في ضمير الأمة وأجيالها المتعاقبة تذكره بإعجاب وإكبار وتقرن به جليل الصفات وعظيم المواهب.

(١) سورة التوبة: آية ١١٩.



عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي لبس الثياب المرقعة وبين يديه الغالي والنفيس إنه من يسلك الشيطان فجاً غير فجّه إنه الوقاف عند كتاب الله المجاهد في سبيل الله إنه القيم والمثل بعينها.

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً	بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها	سوراً من الجند والأحراس يحميها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى	فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً	ببردة كاد طول العهد يلبسها
فهان في عينيه ما كان يُكبر	من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلاً	وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
آمنت لما أقمت العدل بينهم	فنمت نوم قرير العين هانيها

ولد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشرف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية.

ويلتقي نسب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجد السابع كعب بن لؤي وكان إسلامه أن خرج يتعرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يسلم، قال فوجدته سبقني للمسجد فقامت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، قال فقلت والله هذا شاعر كما قالت قريش قال فقراً ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) ﴿﴾ قال قلت كاهن قال ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣) ﴿﴾ (٢) إلى آخر السورة. قال فوقع الإسلام في

(١) سورة الحاقة: آية ٤٠-٤١.

(٢) سورة الحاقة: آية ٤٢-٤٣.



قلبي. فأسلم واستجاب الله دعوة نبيه ﷺ حيث قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب فكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب»^(١) وذهب إلى أبي جهل يعلن إسلامه قال عمر فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه الباب فقال مرحباً وأهلاً يا ابن أختي ما جاء بك فقال عمر: جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به».

عمر هو الخليفة الثاني بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صعد المنبر لأول مرة بعد الخلافة وقد اجتمع الناس فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: بلغني أن الناس قد هابوا شدي وخافوا غلظتي وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه فكيف إذا صارت الأمور إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدق فقد كنت مع رسول الله ﷺ عبده وخادمه وكان ممن لا يبلغ صفته من اللين والرحمة وقد سماه الله بذلك ووهب له أسمين من أسمائه «رؤوف رحيم» فكنت سيفاً مسلولاً حتى يعمدني أو يدعني فأمضي حتى قبض رسول الله ﷺ وهو عني راض والحمد لله وأنا أسعد بذلك، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر فكان من لا تنكرون دعوته وكرمه ولينه فكنت خادمه وعونه أخلط شدي بليته فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي فلم أزل معه كذلك حتى قبض وأنا أسعد بذلك ثم يقول عمر وليت أموركم واعلموا أن هذه الشدة قد زادت أضعافاً ولكنها على الظلم والتعدي على المسلمين أما أهل السلام والدين والفضل فأنا أليّن منهم

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٥٦٩٦) واللفظ له.





بعضهم من بعض ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يدعن بالحق. فتلك سياسة عمر وكلماته القليلة ومعانيها العظيمة.

ومرة شاهد عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** رجلاً قد أقبل مرخيّاً يديه طارحاً رجله يتبخر فقال له عمر دع هذه المشية فقال الرجل ما أطيق فجلده فترك التبخر وقال عمر إذا لم أجلد في مثل ففيم أجلد، وجاء الرجل بعد ذلك لعمر وقال له جزاك الله خيراً إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك.

ومن أقوله المشهورة العظيمة: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم. ومن أقواله: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس.

وكان عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عيناً لا تنام على تفقد أحوال الرعية في أي مكان ويولي عناية خاصة بالضعفاء والصغار والشيخوخ والأرامل ومن ذلك أنه مرة يطعم الناس بالمدينة ومر برجل يأكل بشماله فقال له يا عبد الله كل يمينك قال يا عبد الله إنها مشغولة ثلاث مرات قال وما شغلها قال أصيبت يوم مؤته فجلس عمر يبكي فجعل يقول له من يوضئك من يغسل رأسك وثيابك؟ ومن يصنع كذا وكذا فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام وما يصلحه وما ينبغي له حتى رفع أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أصواتهم بالدعاء لعمر مما رأوا من رفته بالرجل واهتمامه بأمر المسلمين، فرضي الله عنك يا عمر وجمعنا بك في جنات النعيم.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله يرضاه والشكر على نعماه وإن كان كانت غير محصاه وسلم تسليمًا كثيرًا... أما بعد:

فمن أخبار عمر أن شابًا ذهب إلى الجهاد في سبيل الله وأبوه شيخ كبير قد كف بصره وكان كثير الحنين والبكاء لغيبه وحيدته، فلما بلغ ذلك عمر أوفد الشاب وقال له إلزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعتاء وصرفه مع أبيه.

وحضر والد آخر وشكا إليه شوقه إلى ابنه وأنه رجل انقرض أهله وقتل إخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه الذي تركه وذهب للجهاد في سبيل الله فكتب عمر برد الابن إلى أبيه ووضع قاعدة عامة مقتضاها ألا يغزوا من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له.

ومن مواقفه العجيبة، أنه كان لا يفرض للمولود شيئًا حتى يفطم إلى أن سمع ذات ليلة امرأة وهي تكره وليدها على الفطام وهو يبكي فسألها عمر عنه فقالت إن عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم فأنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له وكانت لا تعرف عمر. فقال عمر يا ويل عمر كم احتطب من وزر لا يعلم ثم أمر عمر مناديه ينادي ألا لا تعجلوا أولادكم بالفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام ففرض للمولود مائة درهم في العام. حتى إذا ترعرع بلغ مائتي درهم.

وبعد فهذا غيظ من فيض وزهرة من بستان عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومناقبه والحديث حوله يطول.





هذي مناقبه في عهد دولته
وحسبها أن ترى ما كان من عمر
تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
لعل في أمة الإسلام نابتة
لك هديه وللأعقاب أحكيها
حتى ينبه منها عين غافيتها





﴿نبذة عن حياة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه الأبرار وعلى أزواجه أمهات المؤمنين الأطهار وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم القرار وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) ﴿١٠٢﴾

وما أجمل العيش في سير القادة العظماء ويطيب أكثر إذا كان في مواقف وأخبار السادة النجباء والصحابه الأتقياء فهم أبر الأمة قلوباً وأنقاها سريرة وأصلحها سيرة ويكفي صحابة رسول الله ﷺ أن التزكية جاءت في كتاب الله تعالى ونوه الله بذكرهم في التوراة والإنجيل.

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَكْثِرَ مِنْهُمْ﴾ (٢) ﴿٢٩﴾

ونتطرق إلى طرف من شخصية أبي موسى عبد الله ابن قيس الأشعري

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة الفتح: آية ٢٩.



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه الذي ربما غابت بعض مواقفه البطولية عن بعض الناس وربما ترسخ في أذهان آخرين ما تنسب إليه بعض الروايات التاريخية الساقطة من التغفيل والجهل بأبسط قواعد السياسة والحكمة في قصة التحكيم بل هو العالم الفقيه والقاضي والوالي والقارئ والكيس الفطن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويكفيه أن القرن نزل في الثناء عليه وعلى قومه كما في قوله تعالى ﴿يَكْتُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

عن عياض الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ﴾ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هم قومك يا أبا موسى. وأومأ إليه» (٢).

أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد دعا لأبي موسى وعمه أبي عامر الأشعري كما في الحديث «لَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أُوطَاسٍ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ، فَقَتَلَ دُرَيْدًا وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ، قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ، فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ، رَمَاهُ جُشَمِيُّ بَسَهِمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ، فَاثْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا عَمُّ مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: ذَاكَ قَاتِلِي الَّذِي رَمَانِي، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحَقْتُهُ، فَلَمَّا رَأَنِي وَلَّى، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي، أَلَا تَتُبْتُ، فَكَفَّ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِأَبِي عَامِرٍ: قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْزِعْ هَذَا السَّهْمَ فَانْزِعْهُ فَنَزَا مِنْهُ الْمَاءُ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَقْرَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَغْفِرْ لِي. وَاسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ، فَمَكَثَ يَسِيرًا ثُمَّ مَاتَ، فَارْجَعْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

(١) سورة المائدة: آية ٥٤.

(٢) تخريج سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٤) رجاله ثقات.





بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرِ رِمَالُ السَّرِيرِ بَظْهَرِهِ وَجَنْبَيْهِ، فَأَخْبَرْتُهُ
بَخْبَرِنَا وَخَبَرَ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ
فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبِيدِ أَبِي عَامِرٍ. وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ. فَقُلْتُ: وَلِي فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا
لَأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى^(١).

وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي عِدَادِ الْعُلَمَاءِ الْفُقَهَاءِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَالَ صَفْوَانُ بْنُ سَلِيمٍ أَحَدُ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ الثَّقَاتِ: «لَمْ يَكُنْ
يَفْتِي فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ: عُمَرُ وَعَلِيٌّ وَمَعَاذُ وَأَبِي مُوسَى».
وَلِكِفَاءَةِ أَبِي مُوسَى وَغِزَارَةِ عِلْمِهِ وَحَسَنِ رَأْيِهِ اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَعَاذًا فِي الْيَمَنِ وَوَلَّى أَبُو مُوسَى أَمْرَ الْكُوفَةِ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ الْبَصْرَةَ
وَأَحْسَنَ السَّيْرَةِ فِي أَهْلِهَا حَتَّى قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ مَا قَدِمَهَا رَاكِبٌ خَيْرٌ لِأَهْلِهَا
مِنْ أَبِي مُوسَى.

وَمِنْ هَذِهِ السَّيْرَةِ الْحَسَنَةِ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعْيَةِ فَلَمْ تَكُنِ الْوَلَايَةُ فِي ذَهْنِ أَبِي
مُوسَى وَغَيْرِهِ مِنْ صُلَحَاءِ الْأُمَّةِ شَهْوَةً جَامِحَةً أَوْ سَبِيلًا لِلْاِسْتِعْلَاءِ وَالسَّيْطَرَةِ وَهَذَا
عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَطْلُبُ أَبَا مُوسَى فِي رَهْطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ وَيَقُولُ لَهُ أَنِي أُرْسِلُكَ
إِلَى قَوْمٍ عَسْكَرَ الشَّيَاطِينِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ قَالَ أَبُو مُوسَى فَلَا تَرْسَلْنِي قَالَ عُمَرُ إِنَّهَا
جِهَادٌ وَرِبَاطٌ فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْبَصْرَةِ.

وَيُظْهِرُ الْفَهْمَ الدَّقِيقَ فِي شَخْصِيَّةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأُمُورِ الْوَلَايَةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٩٨).





في الإسلام فهو الأمير والقاضي وهو المقرئ ومعلم الناس القرآن وهو القائد الفاتح.

فقد قال أبو شاذب كان أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم. وعن أنس قال بعثني الأشعري إلى عمر فقال كيف تركت الأشعري قلت تركته يعلم الناس القرآن فقال عمر أما إنه كيس ولا تسمعها إياه. وفي مجال الفتوح فقد افتتح في عهده وأثناء ولايته البصرة والأهواز والسرهار وما والاها وأصبهان وغيرها ..

وإن تعجب من حسن سياسته وفهمه لمسؤولية الولاية والإمارة فالعجب أشد حين تعلم شيئاً من نزاهته وترفعه عن الدنيا ومتابعها الفاني، فلا ملك القصور والضياع ولا جمع المال والمتاع.

يقول الذهبي عنه كان أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صواماً قواماً ربانياً زاهداً عابداً فمن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر.

وقال ابنه أبو برده حدثني أُمِّي قالت خرج أبوك جين نزع عن البصرة وما معه إلا ستمائة درهم عطاء عياله.

أولئك آبائي فجئتني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجمع

رضي الله عن أبي موسى وأرضاه.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:
فكما أن الأشعري من فرسان النهار ومن صلحاء أهل الولاية فكذلك كان
من رهبان الليل ومن أهل الذكر والدعاء والصلاة وتلاوة القرآن.

عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَيَدِي
فِي يَدِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ،
الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أُجَابَ،
فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةُ دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَإِذَا
ذَلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ، قَالَ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرَاهُ مُرَاتِيًا؟ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ،
أَوْ أَبُو مُوسَى أَوْ تَيِّ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا أُبَشِّرُهُ؟
قَالَ: بَلَى، فَبَشَّرْتُهُ، فَكَانَ لِي أَخًا»^(١).

تلك هي والله الشهادة العظمى واكرم تركية من لا ينطق عن الهوى وعجبك
لا ينقضي من هذا الصحابي الجليل وأفعاله الجميلة.

ولا غرو بل هو من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن الذين تربوا على يديه
الشريفتين عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أولئك أتباع النبي وحزبه ولولا هم ما كان في الأرض مسلم

(١) تخريج شرح السنة (١٢٥٩) إسناده صحيح.





ولولا هم كانت خلاصاً بأهلها
فيا لائمي في حبهم وولائهم
بأي دليل أم بأية حُجةٍ
وما العار إلا بعضُهم واجتنابهم
ولكن هم فيها بدور وأنجمُ
تأمل هداك الله من هو ألوم
تري حبهم عارٌ علي وتنقم
وحب عداهم ذاك عار ومأثم
اللهم ارض عن الصحابة الأبرار من المهاجرين والأنصار وعلى من تبعهم
بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.





﴿ قصة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

﴾ (١٠٢) (١).

فاتقوا الله عبد الله ونحن اليوم جميعاً نستمتع إلى قصة نادرة من نوادر التاريخ وقصة عجيبة حصلت في عهد رسول الله ورواها من عايش أحداثها والقصة في صحيح البخاري فاستمع رعاك الله، وتأمل ما فيها من العظات والعبر وما فيها من الدروس المهمة التي نحن بحاجة للتذكير بها دائماً.

وفي الحديث «أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بن مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا،





كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بَغِيرَهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيَّانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَخِي اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَعْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجَدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمَ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحِقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُّوا لَا تَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطَفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مَمَّنَّ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعْفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتُبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بَشَسَ مَا قُلْتُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ





الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظْلَلَ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخْلَفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بَضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَالِيَّتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ. فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صَدَقَ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَا رَجُوُ فِيهِ عَفْوُ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَفْضِيَ اللَّهُ فِيكَ. فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتِبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأَكْذَبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أَسُوءُ، فَمَضَيْتُ





حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبَّثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأُشْهِدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأُطَوِّفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمُنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانٍ، وَلَا مَضِيعَةً، فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّوَرَّعَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَ أَتِكَ، فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزَلْهَا وَلَا تَقْرُبْهَا، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِأَمْرَاتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَتَكُونِي عَنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ



امْرَأَةً هَلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبِكَ. قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لَامْرَأَةِ هَلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذَنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُذَرِّبُنِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشَرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلٍ سَلَعَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهْنُونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِيَتَّهَنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبُ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لَطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبُ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ





صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يَبْرِقُ وَجْهُهُ مِنَ الشَّرُّورِ: أَبَشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَتَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيْتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ^(١) إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ^(٢) فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ ^(٣) إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ^(٤)، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخْلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ

(١) سورة التوبة: آية ١١٧.

(٢) سورة التوبة: آية ١١٩.

(٣) سورة التوبة: آية ٩٥.

(٤) سورة التوبة: آية ٩٦.



اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبَذَلَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾^(١). وليس الذي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ»^(٢) انتهى ..



(١) سورة التوبة: آية ١١٨.

(٢) صحيح البخاري (٤٤١٨).





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:
فبعد أن سمعنا تلك القصة المعبرة التي يعيش فيها المسلم في عالم آخر بل
ربما يكون من عالم المستحيلات إلا أنها واقعة حقيقية لا جدال فيها ولا شك
وبعلمنا أن نقف عدة وقفات مع تلك الحادثة فيمنها على سبيل الاختصار:

■ (١) أين المصلحة؟

فالشريعة الإسلامية مبنية على جلب المصالح وتحصيلها ودفع المفسد
وتقليلها وهو أمر في غاية الأهمية وذلك واضح في أن رسول الله ﷺ
صرح بذكر جهة المسير تلك المسافة البعيدة وهي من المدينة إلى تبوك كي
يتجهز الجيش لذلك وهذا جوانب المهارة والخبرة السياسية والعسكرية عند
رسول الله ﷺ، لذا يجب على المسلم أيًا كان أن يأخذ الحيطة والحذر
في أموره.

■ (٢) التسوية:

وهي المشكلة التي وقع فيها كعب وليس كعب وحده بل سائر المجتمع الآن
على ذلك وسوف هذه الكلمة من جنود إبليس كما قيل ولقد استطاع الشيطان
على كعب عن طريق هذه الكلمة وعلينا أن نبادر بالأعمال دائما ولا نسوف.

■ (٣) من أي أصناف المجتمع أنت؟:

فقد كان كعب يقسم المجتمع إلى أربعة أقسام:





- * قسم بادر بالخروج مع الرسول وهم المجاهدون.
- * قسم الضعفاء فأولئك معذرون.
- * قسم تخلفوا عن الركب لا لشيء فأولئك هم المتخلفون.
- * قسم مطعون فيهم فأولئك هم المنافقون.
- ولينظر المسلم لنفسه أين مكانه من هذا التصنيف للمجتمع؟.

■ (٤) المجتمع المتماسك:

وهذا واضح من خلال تفقد الرسول ﷺ لأصحابه وسؤاله عن كعب وكذلك الذي رد على من نال من عرض كعب وتركية البعض لكعب كل هذا يدل على تماسك المجتمع وترابطه وعندئذ لا يستطيع الأعداء التسلل له. وهكذا يجب أن نكون.

■ (٥) التخطيط للنجاة:

وذلك بعد عودة الرسول ﷺ من الغزوة فأولئك تمت النجاة لهم عن طريق الكذب على الرسول ولكن النجاة الحقيقية هي بالصدق وان كان مرأً فإن النجاة من الله تعالى وليست من الخلق وللأسف أن ذلك ديدن كثير من الناس فلا تحلوا له الحياة إلا بالكذب والعياذ بالله.

■ (٦) فبئس القرين:

فإن الصديق ينصح وليست كل نصيحة من صديق موفقه فيها هو ذا كعب يخبرنا عن نصيحة بعض رفاقه ولكنها نصيحة لو أخذ بها لهلك فما أشد خطر صديق السوء. أعاذنا الله وإياكم منه.





■ (٧) التربية النبوية:

وهذا يظهر من خلال أمر الرسول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** على هجر كعب وأصحابه وامتنال المجتمع بأسره لذلك فما أعظمها من تربية.

■ (٨) المؤامرة لتفكيك المجتمع:

وهذا واضح من قبل الأعداء حيث أن أخبار المجتمع الإسلامي لا تخفى على الأعداء وأن هناك طابوراً خامساً يعمل داخل الصف الإسلامي ولذلك يجب الحذر منه وألا تكون أسرار المجتمع الإسلامي معلنة للجميع تنتقل للأعداء وينفذون للمسلمين من خلالها وما زال أولئك يسعون لتفكيك المجتمع بجميع الوسائل والطرق الممكنة لهم ولكن أين المسلم المتيقظ المنتبه؟.

■ (٩) وجاء الفرج:

وذلك من الله تعالى لكعب وأصحابه وإن مع العسر يسراً ولا ينبلع الفجر إلا بعد أن يبلغ الليل كماله في السواد وبالصدق والصبر والفلاح والطاعة أتى الفرج من الله لكعب وأصحابه خلدها لهم القرآن.

اللهم اجعلنا من المعتبرين الشاكرين المنيبين، وأهلك الكفرة والمنافقين.





﴿ حياة الإمام البخاري ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ

﴿١٠٢﴾ (١).

وإن الله عَزَّوَجَلَّ اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان ثم أختص من سائر المؤمنين من أحب ففضل عليهم فعلمهم الكتاب والحكمة وفقهم في الدين وعلمهم التأويل وفضلهم على سائر المؤمنين وذلك في كل زمان وأوان.

رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم بهم يعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل والضار من النافع والحسن من القبيح، فضلهم عظيم وخطرهم جزيل ورثة الأنبياء وقررة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر والملائكة بأجنحتها لهم تخضع والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع، مجالسهم تفيد الحكمة وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل العباد وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة يذكرون الغافل ويعلمون الجاهل، الطاعة لهم في جميع الخلق واجبة والمعصية لهم محرمة من أطاعهم رشد ومن عصاهم عند فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة هم غيظ الشيطان بهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ.

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.





الناس من جهة التماثل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم نسب يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أذلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

ألا وإن من أهل العلم العاملين والدعاة الناصحين من نسمع ذكرهم دائماً
بعد ذكر الأحاديث فيقال رواه البخاري.

والعلماء يعرفون بعلمهم ويعرفون برسوخهم في مواطن الشبه ويعرفون
بنسكهم وخشيتهم لله ويفرقون باستعلائهم على الدنيا وحظوظها.

ومن أولئك الإمام العالم محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**
المولود ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة ومات أبوه وهو صغير فنشأ في حجر
أمه، هذا وقد كانت نشأته منذ صغره تدل على نبوغه وتفوقه على أقرانه بل وعلى
بعض شيوخه.

قال محمد بن أبي حاتم **رَحِمَهُ اللَّهُ** للبخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كيف كان بدء أمرك؟ قال:
ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فقلت: كم كان سنك؟ فقال: عشر سنين
أو أقل.

وقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث.

✽ ولنستمع إلى ما قال ذلك العالم عن نفسه رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: حججت ورجع أخي وأمي وتخلفت في طلب الحديث فلما طعنت





في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة وكنت اختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم ويضحك بعضهم علي فقال بعض المشايخ لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً يعني البخاري رَحِمَهُ اللهُ.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين.

وقال محمد بن يوسف رَحِمَهُ اللهُ كنت مع البخاري رَحِمَهُ اللهُ بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يقلقها في ليلة ثمان عشرة مرة.

وقال النجم بن الفضيل رَحِمَهُ اللهُ رأيت النبي ﷺ في النوم كأنه يمشي ومحمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللهُ يمشي خلفه فكلما رفع النبي ﷺ قدمه وضع محمد ابن إسماعيل قدمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ قدمه.

أما عن حفظه رَحِمَهُ اللهُ فقال عن نفسه لما سئل: أحفظ مئة ألف حديث صحيح وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح.

وقد أثنى العلماء على البخاري رَحِمَهُ اللهُ بما هو أهله، فمسلم بن الحجاج رَحِمَهُ اللهُ يقول للبخاري رَحِمَهُ اللهُ دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله.

وكان رَحِمَهُ اللهُ يجتمع عليه في درسه أكثر من عشرين ألفاً.

فرايت النبي ﷺ فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله وما كتابك؟ قال جامع محمد بن إسماعيل





يعني صحيح البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ.

ولقد كان الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ إماماً في عبادته وورعه كما أنه إمام في علمه وفقهه، فما وصل إلى هذه الدرجة من العلم والحفظ والقبول عند الناس وبركة العلم إلا بالعبادة والتقوى والبعد عن معصية الله.

فقد ذكر العلماء شيئاً كثيراً عن حالة في العبادة يدل على عظم منزلته وصدقه مع ربه.

قال ابن حجر رَحْمَةُ اللَّهِ عن مقسم بن سعد: كان محمد بن إسماعيل رَحْمَةُ اللَّهِ يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمه ويقوم بعد الترويح كل ثلاث ليال بختمه. وقال البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ: إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبني أنني أغتبه فذكر له كتاب التاريخ وما ذكر فيه من الجرح والتعديل فقال ليس هذا من هذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اُذْنُوا لَهُ، فَبُئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ - أَوْ بُئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ -»^(١). ونحن إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا.

وقال محمد بن منصور كنا في مجلس أبي عبد الله فرفع إنسان من لحيته القذاة و طرحها إلى الأرض فرأيت البخاري ينظر إليها وينظر للناس فلما غفل الناس رأيته مديده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كفه فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها و طرحها على الأرض فكأنه صان المسجد عما تصان عنه لحيته.

فأولئك هم العلماء العاملون والدعاة الناصحون.

أولئك آبائي فجتني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجامع

(١) صحيح البخاري (٦١٣١).





فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

اللهم إنا أحببنا أولئك العلماء فيك وأجللناهم إجلالاً لك، اللهم فاحشرنا في
زمرتهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأكرمنا اللهم بما أكرمتهم
به من العلم النافع والعمل الصالح يا رب العالمين.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعمائه وإن كانت غير محصاه وسلم
تسليماً كثيراً... أما بعد:

فإن الحديث عن الإمام البخاري يطول ولا يكفيه صفحات قليلة ولكن
لعلها إشارات تكفي عن كثير من العبارات أما عن وفاته فقصته عجيبة حيث
بعث له أمير بخارى خالد الهذلي أن أحمل إلي كتاب الجامع لأسمع منك فأجابه
البخاري بقول أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ثم قال فحضرني في
مسجدي أو في داري إلى آخر كلامه فكان بينهما وحشه فتكلم علماء السوء في
الإمام لدى الأمير فنفاه من البلد فدعا البخاري عليهم فقال: اللهم أرهم ما مقتوني
به في أنفسهم وأولادهم وأهليهم فاستجاب الله دعوته فيهم ثم خرج البخاري
إلى بلدة أخرى ونزل عندهم وسمعه أحدهم في إحدى الليالي يقول وقد فرغ من
صلاة الليل اللهم قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فأقبضني إليك قال فما أتم
شهر حتى قبضه الله تعالى وذلك يوم الفطر سنة ست وخمسين ومائتين فرحم الله
ذلك العالم واجمعنا به في دار الجنان.

والدروس والعبر من حياته كثيرة من أبرزها الحرص على العلم والتعلم
والزهد والعبادة.





﴿سيرة نور الدين زنكي (الملك العادل)﴾

الحمد لله رب العالمين واهب النعم ومحل النقم ومبيد الناس والأمم أحمده تعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله واستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه اللهم صل وسلم عليه وعلى إخوانه وآله وأرض اللهم عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً أما بعد:

فاتقوا الله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١).

ولا تزال صفحات مشرقة من تاريخنا تحتاج إلى جلاء وتحتاج إلى وقفات متأملة غايتها العظة والاعتبار ولا يزال عدد من ملوك الإسلام وخلفائه وسلاطينه وقادته ورجاله العظام يكتنف شخصياتهم الغياب عند أبناء الإسلام للجهل بسيرهم وعدم معرفة أحوالهم أو تقدير جهادهم في سبيل هذا الدين والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وما أروع قراءة الصحيح من تاريخ المسلمين وما أجمل التأمل في ملاحمهم فهي من جانب تؤنس الفرد وتخفف جزءاً من همومه ومن جانب آخر تشعره بأن تاريخه لا يبدأ من تاريخ ولادته وينتهي بوفاته وإنما يمتد تاريخه في غابر السنين وتلك السنين حافلة بالنصر والهزيمة والعزة والذلة. والاجتماع والفرقة وهو في تأمله يرصد أسباب النصر والتمكين ويقف على أسباب الهزيمة وضعف للمسلمين وبكل حال فقراءة التاريخ يزود القارئ برصيد كبير من التجارب،

(١) سورة البقرة: آية ١٩٧.





والإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى من يدفع سيرته إلى الله تعالى ويحتاج إلى نماذج عملية شقت طريقها في الحياة ورسمت له معالم الطريق علماً وعملاً وجهاداً وتربية وإخلاصاً ومتابعة.

وحديثنا عن ذلك الشهم البطل الداعية المجاهد الملك العادل ليث الإسلام نور الدين بن عماد الدين زنكي ترتبط أسرته بدولة السلاجقة العظام فهو من نسل الأتابكة لهذه الدولة السلجوقية.

ومن هذه السلالة الأتابكة خرج نور الدين محمود ومع أنه لم يكن من أصحاب الملك الأصليين ولم يكن من ذوي النسب المرموقين فقد فاق غيره من أصحاب النسب والحسب وحقق لأمة الإسلام وأبناء المسلمين ما تجاوز الخيال وإليك شيئاً من سيرته التي يجتمع فيها لعلم والإيمان ويتوفر فيها الشجاعة والإقدام وهي نموذج للعبادة والزهد والعدل بين بني الإنسان وهو من ذوي العفة لليد واللسان وليس من أرباب شهوات الفرج والبطن بلا رادع ولا ميزان، كتب عنه أهل التاريخ والتراجم.

وممن كتب ابن الأثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** فقال عن زهده وعبادته وعلمه: فكان لا يلبس ولا يأكل ولا يتصرف في الذي يخصه إلا من مُلِّك كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة ومن الأموال المرصدة لمصالح المسلمين ..

ولقد شكت إليه زوجته من الفائقة فأعطاهها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له ومنها يحل له في السنة نحو عشرين ديناراً فلما استقلتها قال: ليس لي إلا هذا وجميع ما بيدي أنا فيه خازن للمسلمين لا أخونهم ولا أخوض نار جهنم لأجلك وكان يصلي كثيراً بالليل وله فيه أوراد حسنة وكان كما قيل:





جمع الشجاعة والخشوع لربه ما أحسن المحراب في المحراب

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته لنور الدين أن الزهد والعفاف بلغ به إلى حد استفتى معه العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئاً ولو مات جوعاً.

وكان ليث الإسلام والبطل الهمام نور الدين محمود صادقاً مع ربه ونفسه لا يأكل الحرام ولا يشربه ولا يلبسه ولا غرابة أن تستجاب له دعوة بل ورد في سيرته أنه يأكل من كسب يده وكانت له عجائز فكان يخطط الكوافي ويعمل السكاكر فيبعنها له سرّاً ويفطر على ثمنها وخلاصة القول فهو كما قال الذهبي كان ديناً نقيّاً لا يرى بذل الأموال إلا في نفع وما للشعراء عنده نفاق وقد اصطبغت رعيته بصبغته كما قال الشاعر:

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا له فكل على الخيرات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم ظاهرة من المعاصي وفيه الجوع والعطش

وهل يمكن أن يكون هذا الزهد والعفاف والتقوى والدين وتلك العبادة والإنابة لرجل خلو من العلم أو بعيد عن العلماء؟ كلا واليكم شيئاً من حرصه على العلم وإكرامه للعلماء.

فقد نقل ابن الأثير عنه أنه كان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ليس عنده فيه تعصب. وسمع الحديث واسمعه طلباً للأجر وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويعطيهم ويقوم اليهم ويجلس معهم وينبسط ولا يرد لهم قولاً ويكاتبهم بخط يده وقد نقل ابن كثير عنه رَحِمَهُ اللهُ الكثير من حياته والصور المشرقة فيها في كتابه القيم البداية والنهاية ومما ذكر أن بعض الأمراء نال مرة عند





الفقهاء وهو قطب الدين النيسابوري فقال له نور الدين ويحك إن كان ما تقول حقاً فله من الحسنات الكثيرة الماحية كذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقاً على أني والله لا أصدقك وإن عدت ذكره أو أحداً غيره عندي بسوء لأذويك فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك.

وذلك هو الدفاع الواعي عن أعراض العلماء وينبغي على كل أحد صغير أو كبير ويطيب ويحسن إذا صدر من الولاية والأمراء للصادقين من العلماء.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى أما بعد:

ولا تكاد تنقضي عجائب ذلك الملك العادل لمن يقرأ في سيرته ومن مناقبه المشهورة عنه العدل والجهد إذ هو كما وصفه الإمام الذهبي: حامل رايتي العدل والجهد قل أن ترى العيون مثله، حاصر دمشق ثم تملكها وبقي بها عشرين سنة وكان بطلاً شجاعاً وأفر الهيبة حسن الرمي مليح الشكل ذا تعبد وخوف وورع وكان يتعرض للشهادة سمعه كاتبه أبو اليسر يسأل الله أن يحشره من بطون السباع وحواصل الطير.

قال ابن وصل: كان من أقوى الناس قلباً وبدناً ولم ير على ظهر فرس أحد أشد منه كأنما خلق عليه ولا يتحرك وكان يقول طالما تعرضت للشهادة فلم أدركها.

قال الذهبي: قد أدركها على فراشه وعلى ألسنة الناس وهم يقولون نورد الدين الشهيد. أما عن عدله فهو مثار الوصف ومحل الإعجاب، ويطول المقام بنا لو ذكرنا شيئاً من سيرته فضلاً عن كامل سيرته.

وبهذه النوعية من الرجال ترسم دعائم الملك وبهذه السياسة الحكيمة تصلح الرعية وبهذه الهمم العالية والدعوات الصادقة ينتصر المسلمون ويذل الكفرة والمنافقون.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.





﴿ فضل العلماء ﴾

الحمد لله ذي النعم الكثيرة والآلاء الغني الكريم الواسع العطاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الأسماء الحسنی والصفات الكاملة العليا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى وخليته المجتبی صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام النجباء وعلى أتباعهم في هديهم القويم إلى يوم الميعاد والمأوى وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا بالعروة الوثقى واعلموا أن أجسامكم على النار لا تقوى.

والكل يعلم ما للعلماء من مكانة حيث رفع الله من شأنهم وأعلى في درجاتهم وإننا بحاجة ماسة إلى معرفة فضل العلم ومكانتهم عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ونظراً لتهاون كثير من الناس في هذا الأمر وتساهلهم فيه استبيحت لحوم العلماء والعياذ بالله وقلما تدخل مجلساً فتجده منزها عن الوقعة في عالم من العلماء.

يقول ابن عساكر **رَحِمَهُ اللَّهُ**: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة وأن من أطلق لسانه في العلماء بالقلب لاه الله قبل موته بموت القلب. يقول الله تعالى مبيناً مكانة العلماء ورفعة منزلتهم ﴿ **أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ** **ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** ﴾ (١).

(١) سورة الزمر: آية ٩.



ويقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) ^(١) وأولوا الأمر كما يقول أهل العلم هم العلماء وقال بعضهم الأمراء والعلماء.

روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له مَنْ في السماواتِ و مَنْ في الأرضِ، حتى الحيتانُ في الماءِ، و فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، إنَّ الأنبياءَ لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلمَ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ» ^(٢).

ويقول ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» ^(٣) وإن كثيراً من الناس يضمنون ما بين الفخذين وهذه نعمة عظيمة ولكن هل نحن نضمن ما بين اللحيين هل يمر علينا يوم بدون أن نقع في عرض مسلم عالمًا كان أو غير عالم ليحاسب كل امرئ نفسه وليناقشها في ذلك الأمر الخطير ولناخذ بقول الرسول ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» ^(٤).

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥) باختلاف يسير.

(٣) صحيح البخاري (٦٤٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٠) واللفظ له، ومسلم (٤٠) مختصراً.





احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاء الشجعان

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم
ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات لا يبالي ما يقول».

❁ أما عن أسباب أكل لحوم العلماء والدعاة فهي كثيرة منها:

الغيرة والحسد بغية الحصول على مال أو جاه أو سلطان.

وكذلك الهوى والتقليد والتعصب والتعالم والنفاق قال الله عن المنافقين
﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (١). وقال
﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴾ (٢).

وتمرير مخططات الأعداء وذلك بالنيل من العلماء وسبهم وتشويه صورتهم
لدى عامة الناس، نعوذ بالله من ذلك.



(١) سورة البقرة: آية ١٠.

(٢) سورة البقرة: آية ١٤.



﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي المؤمنين وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله إمام المتقين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعلى آله وصحبه ... أما بعد:

فإن هناك عواقب وخيمة ونتائج خطيرة وآثاراً سلبية تترتب على أكل لحوم العلماء والوقوع في أعراضهم يدرك تلك الآثار من تأمل الواقع وأبعد نظره منها: أن جرح العالم سبب في رد ما يقوله من الحق وجرح للعلم الذي معه وجرح العلماء سيؤدي إلى بعد طلاب العلم عن علماء الأمة وأن تجريح العلماء تقليل لهم في نظر العامة وأيضاً تمرير مخططات الأعداء ومن الأمثلة الواقعية على ذلك الطعن في رجال الحسبة والطعن في القضاة والدعاة أما رجال الحسبة منهم طلاب علم قد أصبحت أعراضهم مستباحة فتجد العامة وغيرهم يستطيّلون في أعراضهم فتجلس في بعض المجالس فتسمع الكلام الشيء في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخطأ رجال الهيئة وفعل رجال الهيئة فسبحان الله أما يخطئ إلا رجال الهيئات فلماذا لا تذكر أخطاء غيرهم، إننا لو ذهبنا نحصى أخطاء الآخرين من غير رجال الهيئات لوجدنا أخطاءهم أضعاف أضعاف أخطاء رجال الهيئات ولكنها مقالة السوء التي روج لها الحاقدون وساعدتهم عليها المغفلون، وأما القضاة فكذلك يتعرضون للطعن وأكل لحومهم فإنك تجد كثيراً من الناس يرددون أن القاضي الفلاني فيه كذا وذاك فيه كذا وهكذا فسبحان الله وهل الخطأ خاص بالقضاة وغيرهم ملائكة وكذلك الكلام في الدعاة والله المستعان.





فإلى من يقعون في أعرض العلماء والدعاة اتقوا الله وتوبوا إليه وأنبيأ له
وأثنوا على العلماء بمقدار غيبتكم لهم وإلا فأنتم الخاسرون والعاقبة للمتقين
وما مثلكم إلا كما قال الأول:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وفقني الله وإياكم لحسن عبادته وحمانا من شرور أنفسنا برعايته وألهمنا
الصواب في الأقوال والأفعال إنه جواد كريم.





﴿ فقد العلماء ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١﴾.

إن من أكبر نعم الله تعالى علينا أن حفظ علينا هذا الدين برجاله المخلصين وهم العلماء العاملون الذين كانوا أعلاماً يهتدي بهم وأئمة يقتدى بهم وأقطاباً تدور عليهم معارف الأمة وأنواراً تتجلى بهم غياهب الظلمة فإن في وجود أمثال هؤلاء في الأمة حفظاً لدينها وصونا لعزتها وكرامتها فإنهم السياج المتين يحول بين الدين وأعدائه والنور المبين تستنير به الأمة عند اشتباه الحق وخفائه وهم ورثة الأنبياء في أممهم وأمنائهم على دينهم فإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وهم شهداء الله في الأرض الذين شهدوا بالحق وأعلنوها على المليء بأنه لا إله إلا الله قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) ﴿٢﴾ وليس في الأمة كمثلهم ناصحاً يعلمون أحكام الله ويعظون عباد الله ويقودون الأمة

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨.





لما فيه الخير والصلاح كمثل العلماء فهم القادة والزعماء المصلحون وهم أهل الخشية لله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

والعلماء رفعهم الله بالعلم وزينهم بالحلم بهم يعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل والضار من النافع والحسن من القبيح فضلهم عظيم وخطرهم جزيل مجالسهم تفيد الحكمة وبأعمالهم ينزوا أهل الغفلة هم أفضل من العباد وأعلى درجة من الزهاد حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة يذكرون الغافل ويعلمون الجاهل لا يتوقع لهم بائة ولا يخاف منهم غائلة بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون جميع الخلق إلى علمهم محتاج والصحيح على من خالف بقولهم محجاج من أطاعهم رشد ومن عصاهم عند، ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشتبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل وعن رأيهم يصدر وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقبولهم يعملون وعن رأيهم يصدرون فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر.

وثمة خصال كثيرة للعلماء نذكر بعضاً منها، فالعلماء أولياء الله تعالى قال سبحانه ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»^(٣).

وقال الشافعي رحمه الله: إذا لم يكن العلماء أولياء الله فلا أعرف لله ولياً وأيضاً أن الطريق الذين سلكوه مؤد إلى الجنة وكذلك أن الملائكة تضع أجنحتها لهم

(١) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٢) سورة يونس: آية ٦٢.

(٣) صحيح البخاري (٦٥٠٢).





رضا بما يصنعون وأن من في السموات والأرض حتى الحيتان في جوف الماء
لتستغفر لأهل العلم.

ومن الخصال أن في ذهابهم مفسدة للأمة وضياعاً لها قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ
اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ،
حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا
وَأَضَلُّوا»^(١)، وبضاعة العلماء باقية وأغلب بضاعة من سواهم زائلة، ومن الخصال
أن محبة العلماء وذكرهم بالجميل من سلامة المعتقد.

قال الإمام الطحاوي **رَحِمَهُ اللَّهُ**: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من
التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم
بسوء فهو على غير السبيل.

يقول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «نعم المجلس مجلس تنشر فيه الحكمة وترجى
في الرحمة».

وقال علي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في
القلوب موجودة».

وقال أبو الأسود الدؤلي: «الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على
الملوك».

فهذه هي المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة للعلماء ثم إذا كان كذلك أفلا
يجدر بنا أن نأسف على موت العلماء لأن فقد العالم ليس فقد لشخصيته فحسب
ولكنه فقد لجزء من تراث النبوة جز كبير بحسب ما قام به هذا العالم المفقود.

(١) صحيح البخاري (١٠٠).





مع التحقيق فالله أن فقد العالم لا يعوض عنه مال ولا عقار ولا متاع ولا دينار بل فقدته مصيبة على الإسلام والمسلمين لا يعوض عنه إلا أن ييسر الله من يخلفه بين العالمين فيقوم بمثل ما قام به من الجهاد ونصرة الحق.

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد فذ يموت بموته خلق كثير

وإن فقد العلماء في مثل هذا الزمان لتضاعف به المصيبة لأن العلماء العاملين أصبحوا قلة وندرة بين الناس وكثر الجهل والتشكيك والإلباس ولكننا لن نأس من روح الله ولن نقنط من رحمته.

ولقد فجع العالم الإسلامي بأسره بوفاة العلامة مفتي المملكة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحِمَهُ اللهُ** صباح يوم الخميس الموافق للسابع والعشرين من شهر المحرم لها العام ١٤٢٠ هـ، فإن فقدته مصاب أليم وحادث جليل على أمة الإسلام تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته وبوآه منازل الأبرار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وجزاه الله عما قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء وعوض الله المسلمين بفقده خيراً.

وإن مما يهون وقع المصاب ومرارة الحزن أن الله تعالى مكن لهذا الدين وقيض له علماء مخلصين وفقهاء بصيرين ولا سيما علماء هذه البلاد المباركة يحملون رسالة الإسلام ويدعون إلى دين الله تعالى على علم وبصيرة فبارك الله في حياتهم وسدد على طريق الحق خطاهم ومن على الجميع بالصبر والاحتساب في الفقيد **رَحِمَهُ اللهُ**.

وإن مما يسلي المرء عند المصيبة ما روي عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه قال:





«إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»^(١).

قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾^(٢).



(١) أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) (١٠١٥٢).

(٢) سورة البقرة: آية ١٥٥-١٥٧.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ... أما بعد:

وانظر لباز التقى والعلم تبصرة
بدون عينين قد أربى على البشر
عبد العزيز الذي تهفو النفوس له
وتشتري نظرة في وجهه النظر
كالبحر في علمه السامي وذو خلق
كالمسك كالعنبر الفواح كالزهر

ربما أخذ العجب بعض الناس من المشاهد والمظاهر التي رآها في وفاة فقيد الأمة عليه رحمة الله فخادم الحرمين الشريفين وجمع من الأمراء والعلماء والوزراء يؤدون الصلاة عليه حاضراً في المسجد الحرام ويصلي عليه غائباً في جميع مساجد المملكة بل وفي دول الخليج ومصر والشام بل والمسلمون صلوا عليه أيضاً في بلاد الكفر هناك.

والتعزية للجميع بوفاة الشيخ، مليون مسلم يصلون عليه في المسجد الحرام رحلات إضافية للخطوط الجوية من أجل الصلاة على الشيخ في المسجد الحرام، كثرة المعزين بوفاة الشيخ بعدة طرق هاتفياً وبرقياً وحضورياً في منزل الفقيد وانشغال وسائل الإعلام مرئية ومسموعة ومقروءة بوفاة الشيخ وغير ذلك من الصور والمظاهر فعلاً يدل ذلك إنه يدل دلالة أكيدة على ما حباه الله للعلم والعلماء من محبة الناس لهم والحزن على فراقهم.

يقول أحد الحكماء الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحبهم ودرس مهم أن الوفاة آيته لكل أحد ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (١) وعلى الإنسان الاستعداد

(١) سورة الزمر: آية ٣٠.





لذلك وأمر مهم أيضاً أن نستفيد من علم العلماء بعد موتهم وأن نحرص على قراءة كتبهم وأن نستثمر وجود العلماء الآن وأن نطلب على أيديهم العلم ففي ذلك خير كثير وأجر كبير وإن توفي سماحة الشيخ فلن ينساه التاريخ ولن تنساه الأجيال.

مضيئة من صناديد وأبطال	حقا فقد عرف التاريخ كوكبة
أو البخاري في اسناده العال	مثل ابن حنبل أو مثل ابن تيمية
يقول بعض أناس مسرف غال	وقد ألام على هذا الثناء وقد
سبا فؤادي واستولى على بال	يا لائمي لا تلمني لم سماحته
وحبه رغم حساد وعذال	دعني فقد فتنت نفسي بروعته
إلى سماء الهوى فلترحموا حالي	باز تصيد قلبي ثم طار به

رحم الله شيخنا وغفر له وأسكنه فسيح جناته.





سلطان العلماء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله إن الله **عَزَّجَلَّ** اختص من خلقه من أحب فهداهم للإيمان ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب فتفضل عليهم بعلمهم الكتاب والحكمة وفقهم في الدين وعلمهم التأويل وفضلهم على سائر المؤمنين وذلك في كل زمان وأوان رفعهم بالعلم ورينهم بالحلم بهم يرف الحلال من الحرام والحق من الباطل والضار من النافع والحسن من القبيح فضلهم عظيم وخطرهم جزيل ورثة الأنبياء وقرة عين الأولياء هم أفضل من العباد وأعلى درجة من الزهاد حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة يذكرون الغافل ويعلمون الجاهل لا يتوقع لهم باقية ولا يخاف منهم غائلة فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة وينابيع الحكمة ومن هؤلاء سلطان العلماء العز بن عبد السلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

ولد سلطان العلماء في دمشق سنة سبع وسبعين وخمسائة ونشأ فقيراً جداً وطلب العلم على كبر وجد واجتهد في حفظ المتون ودراسة الكتب **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وإلى تلك الصفحات من سيرته: لما تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين وأسلمهم قلعة صفد وقلعة الشقيف وصيدا وبعض ديار المسلمين اختياراً لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر فكاتبه الفرنجة ليساعدوه ضد ابن أخيه حاكم مصر فكان الثمن تسليم ديار المسلمين وحصون الموحدين





فدخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا المسلمين وينشروا الفساد بين أبنائهم فشق ذلك على سلطان العلماء مشقة عظيمة فأنكر ذلك وترك الدعاء له في الخطبة وبعد ذلك سجن سلطان العلماء وضيق عليه ثم أطلق قيده فخرج مهاجراً إلى مصر، وتوجه الصالح إسماعيل إلى مصر تحرسه الجيوش الصليبية الحاقدة ليحارب الصالح أيوب وكأنه تأسف لإطلاق الشيخ وأوجس في نفسه خيفة فأرسل إلى سلطان العلماء بعض أعوانه وأمره أن يستنزله على وجه السياسة في زعمه فقال السلطان لرسوله تتلطف به غاية التلطف وتعهده بالعودة إلى مناصبه على أحسن حال فإن وافقك فتدخل به علي وإن خالفك فاعتقله في خيمته إلى جانب خيمتي. فلما اجتمع رسول السلطان مع سلطان العلماء شرع في مفاوضاته ثم قال له بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فأبى سلطان العلماء إلا الثبوت على محض الحق فقال لرسول السلطان والله يا مسكين ما أرضاه أن يقبل يدي فضلاً أن أقبل يده يا قوم أتم في واد وأنا في واد الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به.

فلما أفاق رسول السلطان من دهشته أرغى وأزبد وهدد وتوعد وأعلن عن اعتقال الشيخ قائلاً: قد رسم لي: إن لم توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك. فلما سمع سلطان العلماء مقالة رسول السلطان أجاب: افعلوا ما بدا لكم. إنها لمسة الإيمان في قلب متصل بالواحد الديان.

فأخذ سلطان العلماء واعتقلوه في خيمة إلى جانب خيمة السلطان فأخذ سلطان العلماء رَحْمَةُ اللَّهِ يقرأ القرآن والسلطان يسمع فقال يوماً لملوك الصليبيين أسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم قال السلطان الذي باع نفسه لأعداء الله هذا أكبر قسيس للمسلمين وقد حبسته لإنكاره على تسليمي لكم





حصون المسلمين وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه ثم أخرجته وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم. ويأبى الله إلا أن يذل من عصاه.

فلما سمع ملوك الصليبيين هذه الميوعة الرخيصة أرادوا أن يهينوه ويذلوه لأنه هان واستمرأ حياة الهوان. فقال ملوك الفرنجة: والله لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها. نعوذ بالله من الخذلان.

وصفحة أخرى: أن سلطان العلماء رَحِمَهُ اللهُ دخل يوم العيد القلعة والسلطان نجم الدين أيوب بن الكامل في زينته وجنوده بين يديه وأمراء الدولة تقبل الأرض له فالتفت سلطان العلماء إليه منادياً باسمه المجرد: يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوء لك ملك مصر ثم تبيع الخمر؟ فتجاهل أيوب حقيقة السؤال تجاهل العارف ثم قال: هل جرى هذا؟ فرفع سلطان العلماء صوته: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة هذه البلاد، فلما رأى أيوب أن حقائق ما يجري في مملكته مكشوفة لورثة لأنبياء حاول الإخفاء والادعاء فقال لسلطان العلماء: يا سيدي هذا أنا ما عملته هذا من زمان أبي فحيثئذ أجابه سلطان العلماء بقوله أنت من الذين يقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَبَاءً نَا عَلَى أُمَّةٍ﴾^(١)، ويتسلل الرعب إلى نفس السلطان فيرسم بإبطال تلك الحانة.

وقد شاع الخبر في القاهرة واستغرب الناس جرأة سلطان العلماء أما هذا الجبروت الطاغية ويوجه هذا الاستغراب والتساؤل عن هذه الجرأة إلى سلطان العلماء على لسان تلميذه فقال يا سيدي كيف الحال؟ فقال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتزويه فقال تلميذه أما خفته

(١) سورة الزخرف: آية ٢٢.



فقال الشيخ والله يا بني استحضرت هيبة الله فصار السلطان قدامي كالقط.
الله أكبر إنها حالة الاستعلاء بالإيمان هذه الحالة ليست مجرد زعامة مفردة أو
نخوة عابرة أو حماسة فائرة إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركز
في النفس المؤمنة التي خضعت لقوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) (١).





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فإننا نعيش هذه الأيام فترة الامتحانات بالنسبة لأولادنا نسأل الله لهم التوفيق والنجاح في الدنيا والآخرة ولا شك أن كل أسرة ترغب أن ترى ولدها أفضل من غيره بل تحب أن تراه متفوقاً على أقرانه كيف لا وهذا الولد هو السفير لهذه الأسرة في المجتمع فبتفوقه تفخر ولا إخفاقه وفساده تحزن، ولذا فإنني أنبه الجميع من الآباء والأمهات لهذه الفترة الخطيرة وهي فترة الامتحانات فهي من أخطر الأوقات على أولادنا وفلذات أكبادنا وهي فرصة كبيرة ينتظرها اللصوص أعني لصوص الفضيلة والحشمة والحياء مثل ترويج المخدرات ولصوص الأعراض والمعاكسات وكل هذه الرذائل وغيرها ينشط شياطينها في هذه الأوقات وكم وقع من الضحايا بسبب إهمال بعض الآباء وغفلة كثير من الآباء فهل تحذر وتتنبه أيها الأب؟.

خاصة وأن هذه الحقائق هي اعترافات الكثير من التائبين أصحاب السوابق فالحذر قبل الندم فعليك أيها الأب أن تتنبه لولدك ومع من يذهب وأن يقضي الساعات الطويلة بعد الامتحانات ومع من يذاكر ومع من يسهر ولماذا الغياب الطويل عن المنزل وغير ذلك من الأسئلة وأخيراً أرجو أن لا يظن أننا ندعو للشك بالأولاد أو اتهامهم أبداً فلعلم الله أننا لا نقصد ذلك بل نحذر منه ومنه سوء الطن ولكن الانتباه والحذر وأخذ الحيطة واجب وكما يقال الوقاية خير من العلاج ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(١).

(١) سورة هود: آية ٨٨.



﴿ الجهاد في سبيل الله ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) (١).

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجا فله أوس قادمون وخزرج
وإن سجوف الغيب تخفي طلائعاً مجاهدة رغم الزعازع تخرج
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

إنه الجهاد في سبيل الله إنه ذروة سنام الإسلام.

قال الحق سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١١١) (٢).

ولتقف قليلاً عند هذه الآية الكريمة ولننظر ما هي السلعة؟ وما هو الثمن؟

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة التوبة: آية ١١١.



ومن العاقد؟ ومن المعقود عليه؟ وما هي وثيقة العقد؟ فالمشتري هو الله والبائع هم المؤمنون والسلعة هي الجهاد في سبيل الله، أنفسهم وأموالهم يبذلونها في سبيل الله فالسلعة هي النفس والمال اللذان بذلاً في الجهاد في سبيل الله أما العوض وهو الثمن الذي يدفع من المشتري فهو الجنة ﴿يَأْتِ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(١) وأما الوثيقة فالتوراة والإنجيل والقرآن أعظم الكتب الإلهية المنزلة من عند الله تعالى. فما أعظم العاقد وما أكبر هذه الصفقة وما أجل المعقود معه في نيته وإخلاصه وما أجل العوض وما أثمن الثمن عند باذله لأنه النفس والمال.

إننا بحاجة اليوم إلى أن نربي أنفسنا على حياة الجهاد في سبيل الله والتطلع إلى قتال الأعداء من الكفرة الفجرة وأن نعود أولادنا صغاراً وكباراً على حب الجهاد في سبيل الله قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»^(٢) وإن الحديث عن الجهاد يطول ويطول جداً ولعل ما أذكره فيه الكفاية إن شاء الله للتذكير بأهمية الجهاد وتحديث النفس بذلك.

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** واصفاً طبقة المجاهدين: الطبقة السادسة المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يقيمون بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه ويحفظ بهم بيضة الإسلام ويحمي بهم حوزة الدين وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدين كله لله وتكون كلمة الله هي العليا قد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه وهم شركاء لكل من يحمونه بسيوفهم في أعمالهم التي يعملونها وإن باتوا في ديارهم ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم فإنهم كانوا هم السبب فيه إلى آخر كلامه القيم رحمه الله تعالى. من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين.

(١) سورة التوبة: آية ١١١.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠).



وما هي فوائد الجهاد للأمة؟ إن الفوائد كثيرة نجملها فيما يلي: الجهاد إعزاز للدين ومحقق للكافرين وشفاء صدور المؤمنين من اغتنام أموالهم وإرقاق نساءهم وأطفالهم والأجر العظيم المترتب على الجهاد في سبيل الله ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤) وغير ذلك من الفوائد الكثيرة.

وأصغ سمعك إلى أقوال الله تعالى وأقوال رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذكر الجهاد والمجاهدين قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَعْرِفِ نُجُومِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ (١٠) ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١) (٢) وقال جل ذكره ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٢٠) (٣).

في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ؟ قَالَ: لَا أَجِدُهُ قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتَرُ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَٰلِكَ؟» (٤).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوَاطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرْوَحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْغَدَوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (٥).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه بابٌ من أبواب الجنة،

(١) سورة النساء: آية ٧٤.

(٢) سورة الصف: آية ١٠-١١.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٠.

(٤) صحيح البخاري (٢٧٨٥).

(٥) صحيح البخاري (٢٨٩٢).





يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ»^(١).

ولا ننسى دعم إخواننا المجاهدين بالأموال قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا»^(٢).

فإن الله بالصدق مع الله وطلب الشهادة في سبيل الله ، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»^(٣).

و هل سمعت عن خصال الشهيد؟

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيَزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»^(٤).

نسأل الله الكريم من فضله ونسأله الشهادة في سبيله اللهم أحيينا سعداء وتوفنا شهداء.



(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٨٣٣٤).

(٢) صحيح مسلم (١٨٩٥).

(٣) صحيح مسلم (١٩٠٨).

(٤) أخرجه الترمذي (١٦٦٣) واللفظ له، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد (١٧١٨٢).



﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين أصطفى وسلم تسليماً
مزيداً إلى يوم اللقاء ... أما بعد:

صور شتى وصور مشرقة لحياة المجاهدين من هذه الأمة المجيدة واسمعوا
إلى إمام المجاهدين **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حيث يقول: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنْ رَجُلًا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا
تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»^(١).

وقال خالد بن الوليد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «ما ليله تهدي إلى بيتي فيها عروس أنا لها
محب أو أبشر فيها بغلام بأحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين
أصبح بها العدو».

وقال عبد الله بن جحش **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: يوم أحد اللهم إني أقسم عليك أن نلقى
العدو فإذا لقينا العدو أن يقتلونني ثم يبقروا بطني ثم يمثلوا بي فإذا لقيتك سألتني
فيم هذا؟ فأقول فيك فقتل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

أما الإمام يونس بن عبيد فنظر إلى قدميه عند موته فبكى وقيل له: ما يبكيك
يا أبا عبد الله قال قدماي لم تغبر في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

وتوالى رجالات الأمة المجاهدين يكافحون عن هذا الدين وينصرونه
بأموالهم وأنفسهم فهذا هو صلاح الدين **رَحِمَهُ اللَّهُ** دفع رجل إليه رقعة كتب فيها:

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٦) <





يا أيها الملك الذي لمعالم الصليبان نكس
جاءت إليك ظلامَةٌ تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت وأنا على شرفي مُنجس

فما طاب لصلاح الدين عيش حتى طهر المسجد الأقصى من الصليبيين فرحمن
الله أولئك الرجال الأفذاذ الذين جاهدوا في الله حق جهاده حتى أتاهاهم اليقين.
نسأل الله أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته وأن يدحر الباطل وأهله إنه سميع قريب.





﴿ معركة القادسية ﴾

الحمد لله رب العالمين كتب العزة والغلبة له ولرسوله وللمؤمنين وجعل الذل والصغار على الكافرين والمنافقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يديل على المؤمنين تارة ثم ينصرهم ويمكن الظالمين حيناً ثم يأخذهم ويحكم ربك ما يشاء ويختار.

وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** استخرج الله به الأمة من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام اللهم صل الله وسلم وبارك عليه وعلى سائر المرسلين وعلى آله المؤمنين وصحابته الغر الميامين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٥) (١).

وقبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة وبين طابة الطيبة وتخوم العراق وبالتحديد ما بين أربعة عشر وستة عشر للهجرة حصلت وقعة معركة القادسية. حيث بلغ الخليفة عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** هزيمة المسلمين في معركة الجسر والتي قتل فيها خلق كثير من المسلمين وفي مقدمتهم قائدهم أبو عبيدة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما بلغ عمر انتظام جيش الفرس، ونقض أهل الذمة بالعراق عهودهم وإيذاء المؤمنين وبلغت الغضبنة العمرية مداها وقرر الخروج بنفسه غازياً للفرس في العراق فركب ونزل على ماء يقال له حوار واصطحب معه عثمان وسادات الصحابة واستخلف علياً

(١) سورة المائدة: آية ٣٥.





رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المدينة، وأشار عليه عبد الرحمن بن عوف أن يرجع فإنه لو كسر خشي أن يضعف أهل الإسلام في سائر الأقطار فيراعي عمر المصلحة الكبرى ويقتنع المسلمون بمشورة ابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويتدب لهذه المهمة العظيمة الأسد في برائه سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع سابقة سعد و شريف نسبة وصدق جهاده وبلائه فقد أوصاه عمر وذكره قائلاً: يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن وإن الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ إلا بطاعته فالناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء والله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ بعث إلى أن فارقتنا عليه فالزمه فإنه الأمر.

أرأيتم هذا التجرد وصدق النصيحة وكبر المسؤولية ويستجيب سعد للمهمة وهو يرى أنه سهم من سهام الإسلام مستعد لأن يرمى به في أي نحر من نحور الأعداء.

ويقود سعد المعركة العظيمة وإن كان بقي متكئاً على صدره فوق وسادة لا يستطيع الركوب ولا الجلوس فقد أصيب بمرض عرق النساء.

وإذا صدق القادة والأمراء انسحب ذلك على الجند وإن كانوا من أولي الأعذار والضعفاء ومع ذلك أثبتت القادسية بطولات لرجال كانوا من أولي العذر قل أن وجود الزمان بمثلهم.

قال انس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «رأيت يوم القادسية عبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه درع يجر أطرافها ويد راية سوداء فيقل له أليس قد أنزل الله عذرك؟ قال بلى ولكني أكثر سواد المسلمين بنفسي» وهو الذي كان يقول «ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر واقيموني بين الصفين».





وإذا قام أهل الأعذار بما أعفاهم الله من القيام به أفيلق بالأسوياء الأقوياء
أن يفرطوا بما أوجبه الله عليهم من تكاليف هذا الدين؟ ألا إنها الهمم العالية التي
لا ترضى بأصحابها دون أعالي الجنان.

وثمة مواقف وعبر أخرى تلفت نظر المتأمل في هذه الواقعة العظيمة وما
أولانا بالإفادة منها فهل من مذكر؟ وذلك أن رجلاً كان مسجوناً عند سعد في
قصره بسبب الشراب فأمر به سعد فقيد وأودع في القصر، فلما رأى الخيول تجول
حول حمى القصر وكان من الشجعان فقال:

كفى حزناً أن تدهم الخيل بالفتى وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة وقد تركوني مفرداً لا أخاليا

ثم سأل أم ولد سعد أن تطلقه من قيده وتعيّره فرس سعد وحلف لها أن يرجع
مع آخر النهار فأطلقته وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالاً شديداً وجعل سعد
ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبه الفارس بأبي محجن ولكن يشك لظنه أنه
في القصر موثق فلما كان آخر النهار رجع الفارس الموثق من رحلة الجهاد ودفع
رجله في قيدها ثم علم به سعد فأطلق سراحه.

وليست الخطيئة ضربة لازب لا يستطيع المخطئ الفكاك منها وليس
المخطئون عناصر فاسدة في المجتمع لا يمكن الاستفادة من طاقاتهم ولا تقال
عصايتهم كلا بل يستفاد منهم بعد ذلك والخطيئة تداوي التوبة إلى الله من السيئة
تمحوها الحسنه بعدها والله كريم يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط
يده بالليل ليتوب مسيء النهار.





يقول سعيد بن جبير **رَحْمَةُ اللَّهِ**: إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وذلك أن يعمل الحسنة فيكون نصب عينيه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها.

ألا فلا تقعن بكم الخطايا عن عمل الصالحات ولا يصدنكم الشيطان معاشر المخطئين عن المساهمة مع المسلمين في الدفاع عن حياضه ومجاهدة المشركين والمنافقين فكل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابون وربما ارتفع سهم الغيرة لدين الله ومحارمه عند شخص يرى أنه مسرف بالمعاصي فكانت تلك الغيرة سبباً لانتعاقه من أسر المعصية أولاً وطريقاً إلى سلوك الصراط المستقيم ثانياً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

تالله ما الدعوات تهزم بالأذى	ضع في يدي الغير ألهب أضلعي
لن تستطيع حصار فكري ساعة	فالنور في قلبي وقلبي في يدي
أبداً .. وفي التاريخ برُ يمني	بالسوط ضع عنقي على السكين
أو نزع إيماني ونور يقيني	ربي وربي حافضي ومعيني

اللهم احفظنا يحفظك واكلاًنا برعايتك وأحرسنا بعينك التي لا تنام، اللهم احفظنا بالاسلام راقدين وقائمين وقاعدين ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين، اللهم اكفنا كيد الفجار وشر الأشرار وشر طوارق الليل والنهار يا عزيز يا جبار.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فمن وقفات معركة القادسية حديث عن الأتقياء والأخفياء أولئك الذين وضعوا نصب أعينهم الآخرة ونعيمها فعملوا ما في وسعهم لها واستشعروا محبة الله لهم ولم تقعد بهم جراحات المعركة من حزبهم من قيام الليل وتلاوة القرآن ولم ينقص من جهادهم أن الخليفة لا يعرفهم ولكن الله يعرفهم ويدركون أهمية دورهم في الحياة وأن كل واحد منهم مطالب بأن يقوم للإسلام والمسلمين شيئاً حتى وإن كان صغيراً.

وبهذه النوعية من الجند انتصر المسلمون على الكفار وبهذه العناصر الجادة في الجهاد والعبادة فتحت البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجاً وامتدت رقعة البلاد الإسلامية إلى الشرق والغرب وإنما النصر من عند الله ينصر من يشاء **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولا ننظر إلى عدد أو عدة وذلك أن المسلمين في القادسية كانوا سبعة آلاف أما الفرس فكانوا أكثر من مائة ألف ومع ذلك فقد نصر الله المسلمين على الكافرين لأن صورة المسلمين كانت ناصعة في القادسية وهي نموذجاً للصدق والإخلاص والجهاد والتفاني إذا أراد المسلمون العزة اليوم فلا بد أن يتخذوا من تاريخ المجاهدين الصادقين نموذجاً يحتذى وسلماً للوصول.

اللهم أصلح أحوال المسلمين واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين.





﴿ الأرض المباركة - معركة حطين ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وحديثنا عن تلك المعركة الشهيرة والتي كانت أمانة وتقديم وإشارة لفتح بيت المقدس على يد قائدها المجاهد صلاح الدين الأيوبي **رَحِمَهُ اللهُ** إنها معركة حطين.

وقبل ذلك نقدم بإشارات عابرة عن الأوضاع التي كانت تسود المنطقة في بلاد الإسلام قبل صلاح الدين **رَحِمَهُ اللهُ** ففي نهاية القرن الخامس الهجري وبالتحديد في سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة أخذت النصارى الإفرنج بيت المقدس وكانوا في نحو ألف ألف مقابل وذبحوا في ساحات الأقصى أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين وجاسوا خلال الديار وأفسدوا أيما إفساد وهرب الناس على وجوههم من الشام إلى العراق ليستعينوا الخليفة على النصارى، فهال الناس هذا الأمر وتباكوا جميعاً على ما حل بأمة الإسلام.

وهذا الحدث صورة من صور الضعف التي عاشها المسلمون في أواخر القرن الخامس والسادس الهجري فهم في وضع لا يحسدون عليه، حيث دبت الفرقة والخلاف وظهرت الدويلات المتناحرة فيما بينها فهذا هو الوضع السياسي فما بالك في الوضع العقائدي فقد سادت العقائد الباطلة وروج لها، ودولة العبيدين





بمصر نموذج واضح لهذا الفساد العقائدي. فقد كان فيها السب الواضح لصحابة رسول الله ﷺ وأزواجه الطيبات الطاهرات هذا فضلاً عن إيذاء المؤمنين وقتلهم وفضلاً عن تقريب اليهود والنصارى وتقليدهم المناصب إلى غير ذلك من الانحرافات العقائدية فعمت المصائب وحلت الفتن واستُذِلَ المسلمون وأستأسد المجرمون وبعد هذه الفتن والمصائب والتي تجرع المسلمون كؤوسها مدة تزيد على تسعين عاماً أذن الله تعالى بالنصر وعاد المسلمون إلى عزهم ونصرهم على أيدي صلاح الدين وجنده الصادقين رَحِمَهُمُ اللَّهُ. فما هي قصة هذا الانتصار، وما هي أسبابه وكيف نستفيد منه الدروس والعبر؟.

ومع سوء الأحوال في تلك الفترة إلا أنه يجب أن يعلم أن صلاح الدين لم ينتصر في يوم وليلة ولم تكن المهمة سهلة بل هو الجِد والاجتهاد والجهاد والصدق والعزيمة والإعداد حتى اكتملت أسباب النصر وقطع دابر الفساد والفتن ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠).

ولقد بدأ صلاح الدين بالإصلاحات الداخلية فقضى على الطوائف الباطلة ومحا الدول المشبوهة وعلى يديه سقطت دولة العبيدين ووحدة الكلمة وقرب العلماء وطلق الشبهات وكان كثير البر والصدقات وكان صلاح الدين صالحاً محباً للخير وأهله تقياً نقياً وفيّاً صفيّاً، مارؤي صلى إلا في جماعة هكذا قال العلماء في وصفه وسيرته.

ولا شك أن الإمام يقتدي به من خلفه والراعي تسير خلفه رعيته فإذا كان هذا الراعي فلا تسأل عن الرعية فربى أمته على زوايا المساجد وساحات الجهاد ونادى بفتح القدس فلبت الرعية دعوته فكانت الواقعة الشهيرة (حطين) والتي





انتصر فيها المسلمون نصراً مؤزراً فقد كان صلاح الدين في مقدمة الصفوف يحث الجيش ويقويهم ويكبر أمامهم حتى قتل المسلمون من الكفار ثلاثون ألفاً في يوم واحد. وأسر ثلاثون ألفاً ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله ودحر الباطل وأهله. حتى ذكر أن بعض الفلاحين رثي يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من النصارى قد ربطهم بطنب خيمته وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها في رجله وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا في زمن الصحابة والتابعين كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ** في كتبه البداية والنهاية في الجزء الثاني عشر.

وفي أثر هذه المعركة انكسرت شوكة النصارى وغضب قاداتهم وخافوا أن تفلت زمام بيت المقدس من أيديهم فجمعوا جموعهم وأعدوا عدتهم أما صلاح الدين فزاده الله عزاً وشرفاً وطار صيته في الآفاق ولم تقف همته عند ذلك بل كان فتح بيت المقدس حلمًا يراوده وهدفًا يسعى إليه وطار في الناس أن السلطان عازم على فتح بيت المقدس فقصدته العلماء والصالحون تطوعاً وكثير من الناس فقصد بهم في ملحمة لا يزال اليهود والنصارى يذكرونها ويذكرون معها قائدها العظيم صلاح الدين **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

وكيف لا تكون الملحمة كبيرة والذين يدافعون عن بيت المقدس من النصارى ستون ألف مقاتل وقد حصنت تحصيناً شديداً فكان القتال والتخريب لتلك الأسوار العظيمة فلما سقطت الزاوية الشمالية الشرقية للسور وشاهد الإفرنج ذلك وأحسوا بالهزيمة قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة كما اقتحمتموها أنتم عنوة ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين فطلب صاحب القدس الأمان ليحضر عند صلاح الدين فلما أمنه وجاء عنده ترقق لصلاح الدين وذل





له ذلاً عظيماً وتشفع إليه بكل ما يمكن فلم يجبه صلاح الدين إلى الأمان فقال حينها إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير من المسلمين بأيدينا وكانوا قريباً من أربعة آلاف وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا وخربنا الدور والأماكن الحسنة وأحرقنا المتاع وأتلفنا الأموال وهدمنا قبة الصخرة وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت ولا خير في حياتنا بعد ذلك، فماذا ترتجي بعد هذا من الخير؟ فلما سمع صلاح الدين الأيوبي ذلك أجاب إلى الصلح مع عدد من الشروط أخذها عليهم ووافقوا عليها وخرجوا من بيت المقدس أذلة وهم صاغرون.

وهكذا تكون العزة الإيمانية ونتائجها وثمار الجهاد وأثار التربية الصادقة، وكذلك يذل الله الكافرين حين يصدق المسلمون فهل من مدكر؟. اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك.





﴿الخطبة الثانية﴾

الحمد لله رب العالمين نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن نبينا محمداً عبد ورسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ... أما بعد:

فينبغي أن نستفيد من هذه الأحداث والملاحم الواقعة في تاريخ المسلمين الدروس والعبر وأن نستثمر ماضيها لصناعة حاضرنا وأن نفكر دائماً في مستقبلنا على ضوء حاضرنا وماضيها وأول هذه الدروس أن الأيام دول بين الناس قال سبحانه **﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** ^(١) والله يحكم لا معقب لحكمه وهو العزيز الحكيم.

﴿والدرس الآخر:﴾

أن النصر لأي طرف لا يأتي من فراغ وليس ثمن النصر يسيراً ولا ينال العز والشرف إلا على جسر من المتاعب والمصاعب وبذل الجهد وإحياء الهمم والعمل دون كلل أو ملل.

اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب الله عليك باليهود الغاصبين المعتدين الظالمين يا رب العالمين.



(١) سورة آل عمران: آية ١٤٠.



الفهرس

٣	■ المقدمة
٦	■ خير القرون
١٢	■ فضائل الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
١٩	■ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٥	■ نبذة عن حياة أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣١	■ قصة الذين خلفوا عن غزوة تبوك
٤١	■ حياة الإمام البخاري
٤٧	■ سيرة نور الدين زنكي (الملك العادل)
٥٢	■ فضل العلماء
٥٧	■ فقد العلماء
٦٤	■ سلطان العلماء
٦٩	■ الجهاد في سبيل الله
٧٥	■ معركة القادسية
٨٠	■ الأرض المباركة - معركة حطين

